

ظاهرة الافتراش في الحج - دراسة فقهية مقارنة

د. مرتضى عبد الرحيم محمد عبد الرحيم

أستاذ الفقه المقارن المساعد

كلية التربية والعلوم بالخرمة

جامعة الطائف

مقدمة

الحمد لله باسمه نبداً، مستمدين منه العون والتوفيق، نسأله ﷺ أن يسدّد خطانا فيما نهدف إليه، ونسعى من ورائه، إنه من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، سبحانه ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ونُصلى ونُسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أولاً: أهمية البحث : تُعدُّ ظاهرة الافتراش في الشوارع والطرق في مناطق المشاعر المقدسة من أبرز الظواهر التي تعيق حركة الحجيج والأجهزة الضرورية الخدمية في الحج من المرور وسيارات الإسعاف والدفاع المدني.

وتكمن أهمية البحث في بيان حقيقة الافتراش في الحج، وحجم هذه المشكلة، وعن الأسباب المؤدية إلى الافتراش في الحج، وما هي الآثار السلبية المترتبة على هذه الظاهرة، وحكم الشرع في هذه الظاهرة، وأخيراً كيفية علاج هذه المشكلة

ثانياً: مشكلة البحث : إن تواجد الأعداد الكبيرة من حجاج الخارج والداخل في أماكن محددة وفي أوقات معلومة كتواجدهم في منى يؤدي إلى افتراش الشوارع والأرصعة والطرق.

من هذا المنطلق تكمن مشكلة البحث في أن الذين يؤدون الحج بدون تصريح من المواطنين والمقيمين ومن المتخلفين بعد أداء العمرة ومخالفي أنظمة الإقامة والعمل يتسببون في الافتراش في منى، الأمر الذي يؤدي إلى مضايقة الحجاج النظاميين وعدم الحج بسهولة ويسر

ثالثاً: أهداف البحث : يهدف البحث إلى الآتي:

١ - التعرف على حقيقة الافتراش في الحج .

٢ - التعرف على حجم هذه الظاهرة .

٣ - التعرف على أسباب الافتراش في الحج .

٤ - التعرف على الآثار السلبية المترتبة على هذه الظاهرة.

٥- التعرف على الحكم الشرعي لهذه الظاهرة .

٦- التعرف على الأساليب والطرق التي تعالج مشكلة الافتراض في الحج .

رابعاً: منهجي في البحث : أما عن منهج الدراسة وطريقتها فهو كالتالي:

ينتهج البحث منهج الاستقراء في ذكر أقوال الفقهاء وأشهر من قال بها، على وفق الترتيب الزمني لمولد القائل وأدلتهم وبيان الراجح منها، وذكرت التفاصيل الخاصة بالمراجع من الطبعة ورقمها وسنة الطبع في ثبوت المراجع في آخر الكتاب، واكتفيت في صلبه بذكر المرجع ومؤلفه؛ كي لا تثقل الهوامش وجمع الآيات والأحاديث المتعلقة بالموضوع وتخريجها، وفي كتابة النصوص وضعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونصوص العلماء التي أنقلها بين قوسين مميزين .

ويتكون البحث من مقدمة وستة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: حقيقة الافتراض في الحج

أولاً: تعريف الافتراض في اللغة والاصطلاح

أ-تعريف الافتراض في اللغة: الافتراض: بمعنى الانبساط، وبمعنى جعل شيء فراشاً، فيقال:

افترش ذراعيه إذا بسطهما على الأرض، وافترش ثوبه، أي جعله فراشاً له (١).

وقد يستعمل بمعنى اتّخاذ المرأة زوجةً حين يقال: افترش المرأة.

ب - تعريف الافتراض في الاصطلاح: وقد استعمله الفقهاء في هذين المعنيين اللغويين.

واستعمل بعض الفقهاء الافتراض في العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، فإنّ افتراض الرجل لها كناية عن مقاربتها، ولهذا عبّروا عنها بأنّها فراش الرجل، وعبّروا بذلك في باب إلحاق الولد بأبيه، ويسمّون المقاربة افتراضاً فعلياً عملياً، والإلحاق يقع نتيجة هذا الافتراض عبر كفاية الاحتمال (٢).

ثانياً: تعريف الحج في اللغة والاصطلاح :

أ- تعريف الحج في اللغة: الحج لغة: القصد إلى كلِّ شيء، فخصّه الشرع بقصد معيّن ذي شروط

معلومة (٣) ، وقيل: الحج لغة: القصد إلى الشيء المعظم (٤)، وقيل: الحج: القصد للزيارة، (٥)

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ٤٢٩-٤٣٠. الناشر: المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م، لسان العرب ١٠: ٢٢٤ طبعة دار صادر، بيروت، لبنان.

(١) جواهر الكلام ٣١: ٢٢٣

(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٣٤٠.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١١٥، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبو جيب ص ٧٧.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٢١٨، ولسان العرب ٢/ ٢٢٦.

ويُقَال: الحَجُّ: القصد، ثم غلب في الاستعمال الشرعي والعرفي على حج بيت الله تعالى وإتيانه، فلا يُفهم عند الإطلاق إلا هذا النوع الخاص من القصد؛ لأنه هو المشروع الموجود كثيراً، وقيل: كثرة القصد إلى من يُعظَّم (١).

ب- تعريف الحج في الاصطلاح: القصد لبيت الله تعالى بصفةٍ مخصوصةٍ، في وقتٍ مخصوصٍ، بشرائطٍ مخصوصةٍ. (٢)

وقيل: الحج: حُصٌّ في تعاريف الشرع: بقصد بيت الله تعالى إقامةً للنسك (٣)، فقيل: الحَجُّ، والحِجُّ، فالحَجُّ مصدرٌ، والحِجُّ اسمٌ .

وقيل: الحج أداءُ أعمالٍ مخصوصةٍ في حرم مكة وما حوله، في أوقاتٍ مخصوصةٍ مع النية. (٤)
وقيل: قصد البيت الحرام للتقرب إلى الله تعالى بأفعالٍ مخصوصةٍ، في زمانٍ مخصوصٍ، ومكانٍ مخصوصٍ من حج أو عمرة (٥).

والتعريف الذي يجمع هذه التعريفات هو أن يقال: الحج اصطلاحاً: التعبد لله بأفعالٍ وأقوالٍ مخصوصةٍ، في أوقاتٍ مخصوصةٍ، في مكانٍ مخصوصٍ، من شخصٍ مخصوصٍ، بشروطٍ مخصوصةٍ، والعلم عند الله تعالى (٦)

ثالثاً: تعريف الافتراش في الحج : هو افتراش الطرق التي تسير فيها السيارات، أو يسير فيها المشاة، فتضييق عليهم الطريق أو تغلقه، مما يتسبب في إيذاء الآخرين. (٧)

المبحث الثاني : أسباب الافتراش في الحج

- ١-المبالغة في أسعار حملات الحج
- ٢-ارتفاع نسبة التخلف سواء من عمرة أو من الأعوام السابقة.
- ٣-عدم ارتباط كثير من الحجاج بحملات الحجيج.
- ٤-الجهل وعدم الوعي فالجانب السلوكي لدى بعض الحجاج عامل مؤثر بشكل كبير في ظاهرة الافتراش، إذ يعم الجهل ويغلب وخاصة عند كبار السن والنساء مع قلة الوعي بضرر وأثر هذه الظاهرة عليهم سلباً بالدرجة الأولى. (٨)

(١) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٧٥.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٥ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للأصبهاني ص ٢١٨ .

(٤) معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس ص ١٥٣ .

(٥) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ص ٧٧ .

(٦) مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ١١ الناشر / مركز الدعوة والإرشاد بالقصب ١٤٣١ هـ.

(٧) وقفات حول موسم الحج د عبد الله بن علي بصفر ص ٦١ الناشر / دار نور المكتبات .

(٨) افتراش الحجاج: مشكلة ومقترحات للمواجهة !!د. زيد ابن محمد الرماني ، انظر الموقع على شبكة الانترنت :

المبحث الثالث : الآثار الضارة المترتبة على ظاهرة الافتراش في الحج

إن افتراش الطرقات في مواسم الحج خصوصاً، وفي غيرها عموماً، يتعارض كلياً مع أحكام الإسلام وآدابه وتوجيهاته (١)

١- التأثير السلبي على ما تقوم به الأجهزة الحكومية ونحوها - مشكورة مبرورة - من خدمات إرشادية، ومرورية، وإسعافية، ودفاع مدني، التي قد يترتب على التأخر في الوصول إليها وفاة أشخاص، أو احتراق بيوت، أو دمار أسواق، أو تفشي أمراض، أو حدوث كوارث ونكبات، كان بالإمكان السيطرة عليها ومحاصرتها، لولا وجود هؤلاء الرجال والنساء، الذين افترشوا الشوارع، وأعاقوا حركة المرور، وأخروا تقديم الخدمات الإسعافية للمحتاجين إليها...

٢- إن افتراش بعض الحجاج للطرقات والشوارع، يعرض الجهود الجبارة التي تبذلها حكومة المملكة، والأموال الكثيرة التي تنفقها، والأوقات النفيسة التي تغتنيها - لتقديم أفضل الرعاية والخدمات للحجاج - إلى التشتت والهدر، وذلك مما لا يجوز لأي مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرضاه ويتسبب فيه.

٣- إعاقة حركة المواصلات، والتأثير على حركة المارة من الحجيج وغيرهم، وعدم تمكينهم من عبور الطرقات والشوارع، وربما التسبب في تزاخمهم، ووقوع بعضهم فوق بعض، وتعريضهم للكسور والإصابات والتشوهات، وربما الموت، نتيجة لذلك. (٢)

جاء في الحديث الحسن عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم؛ فطرق المسلمين ملك للأمة كلها وليست ملكاً لفرد ولا لآحاد من الناس (٣)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إياكم والتعريس (٤) على جواد الطريق (٥) والصلاة عليها، فإنها مأوى الحيات والسباع وقضاء الحاجة عليها؛ فإنها الملاعن ". (٦)

<http://fiqh.islammmessage.com/NewsDetails.aspx?id=1509>

(١) أكد فضيلة الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني أبوغدة على أن ظاهرة افتراش الحجاج للشوارع غريبة عن البيئة الإسلامية ومجتمع الحج عند المسلمين، وهي في الحقيقة تدل على سلوك غير سوي ولا حضاري، وتشير إلى جهل فاعليها بالأحكام الشرعية، وعدم معرفتهم بالآداب الإسلامية، فضلاً عما في ذلك من خروجهم على الذوق العام، وعدم إحاطتهم بأحكام فريضة الحج، وتعاليمها، وآدابها بوجه خاص.

انظر الموقع على شبكة الانترنت

<http://fiqh.islammmessage.com/NewsDetails.aspx?id=6902>

(٢) خطورة الافتراش على سلامة الحجاج / الأستاذ الدكتور حسن أبوغدة، انظر الموقع على شبكة الانترنت

<http://fiqh.islammmessage.com/NewsDetails.aspx?id=6902>

(٣) وقفات حول موسم الحج د عبد الله بن علي بصفر ص ٦٤.

(٤) التعريس : النزول في السفر آخر الليل للاستراحة.

(٥) جواد الطريق: أي : الأعظم الذي يجمع الطرق ولا بد من المرور عليه يكون طريقاً رئيسياً لا يستغني الناس عنه ويحتاج الناس إليه.

(٦) رواه ابن ماجه ٣٢٩ وقال المنذري في الترغيب ٢٤٨ : رواه ثقات.

٤- صعوبة توجه الحجاج إلى الرمي نهاباً وإياباً خصوصاً بالليل .

٥- رمي الفضلات والمخلفات في الطرقات، والتسبب في نشر الروائح الكريهة، وحدوث الأمراض والأوبئة، فهذا لا شك أنه محرم قطعاً بدون خلاف بين المسلمين إضافة إلى أن الشرع الحكيم جاء بعكس ذلك ؛ فقد جاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة ، أدناها : إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها: قول : لا إله إلا الله الطريق ، فإذا أدنى شعب الإيمان هي إمطة الأذى عن الطريق" (١) ، وقال أبو هريرة ؓ يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به فقال: اعزل الأذى عن طريق المسلمين" (٢) وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة) (٣)

٦- انتشار التسول في الأماكن التي يكثر فيها افتراش الشوارع والطرقات، حيث انتشار المتسولين وبعاهاتهم وأطفالهم الصغار يعيق التحرك في الحج؛ حيث زيادة الأعداد وابتزاز الحجاج بقصد الحاجة، ولو خرج هذا المتسول في اليوم بريال واحد من كل حاج لخرج من الحج بثلاثة ملايين ريال. (٤)

٧- انتشار البيع في كل مكان، كذلك يُعدُّ ظاهرة غير حضارية، وله ضرره على الحجاج.

٨- انتشار النشل والسرقات والاختلاس بين الحجاج نتيجة الازدحام والافتراش.

المبحث الرابع : الحكم الشرعي لظاهرة الافتراش في الحج

مما سبق لنا بيانه من الأضرار الناتجة عن ظاهرة الافتراش في الحج يظهر لنا جلياً أنها تخالف نصوص الكتاب والسنة النبوية:

أولاً : من الكتاب

١- قال -تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُنَّ فَأَكْتَسَبُوا فِيهَا ذَنْبًا وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥)

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم ٢٦١٨ وابن ماجه ٣٦٨١

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧٦١٨ ، وانظر : الترغيب والترهيب للمنذري رقم ٤٣٧٦

(٤) افتراش الحجاج: مشكلة ومقترحات للمواجهة!! د. زيد بن محمد الرماني ، انظر الموقع على شبكة الانترنت :

<http://fiqh.islammassage.com/NewsDetails.aspx?id=1509>

(٥) الآية (٥٨) من سورة الأحزاب.

وجه الدلالة: دلَّت الآية الكريمة على النهي عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، والجلوس في الطرقات نوع من الأذى الذي يصيب الحجاج؛ لأن فيه تضييقاً وإغلاقاً للطريق فوجب الابتعاد عنه (١).

٢- قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ (٢)
وجه الدلالة: أن افتراض الحجاج للطرقات والشوارع ونحوها منافٍ تماماً لشرط الاستطاعة الذي حدده الله تبارك وتعالى، مع فرض الحج .

٣- قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٣)
وجه الدلالة: دلَّت الآية على تكريم الله - ﷻ - للإنسان، وفي افتراض الحجاج للطرقات والشوارع امتهان لكرامة المسلم، وخاصة النساء، وربما نام الحاج رجلاً كان أو امرأة على هذه الأرصفة أو الطرقات فتعرض لخطر الدهس أو انكشاف العورة، والشريعة لا تأتي بإيجاب مثل هذا، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٤)، ومن المعلوم أن الإنسان يحتاج إلى الأكل والشرب وبعض الخدمات مما لا يتوفر في هذه الأماكن، إلا بمشقة كبيرة، والحرص مرفوع في الشريعة (٥)

ثانياً: من السنة النبوية

عن أبي سعيد الخدري ؓ أن النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس بالطرقات قالوا: يا رسول الله، مالنا بدُّ من مجالسنا نتحدُّ ث فيها، فقال فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه (وهم لم يجلسوا في الطريق وإنما جلسوا على حافة الطريق) فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غضُّ البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر (٦)
وجه الاستدلال: دلَّ هذا الحديث على أن الأصل هو المنع في الجلوس في الطرقات، والاستثناء في الجلوس في الطرقات مع الالتزام بحقوقها التي بيَّنها المصطفى ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك فإن افتراض طرق الحجاج بالمكوث والبيات فيه خلاف الأصل، وإذا أدى إلى تضييق طريق المسلمين مع وجود الأذى والحرص؛ فإنه يحرم الجلوس بها، وينهى عن ذلك، وإذا كان الجلوس يترتب عليه كشف العورات فإنه يحرم في حق المفترش (٧).

(١) أحكام الزحام في المناسك في الفقه الإسلامي/أحمد بن حسن بن عمر زبير ١٦٥.

(٢) الآية (٩٧) من سورة آل عمران.

(٣) الآية () من سورة الإسراء.

(٤) الآية (٧٨) من سورة الحج.

(٥) مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد بن هائل المدحجي ، انظر الموقع على شبكة الإنترنت

<http://fiqh.islammesssage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

(٦) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ج ٥

ص ٢٣٠٠ رقم ٥٨٧٥، صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب النهي عن الجلوس في الطرقات ١٦٧٥/٣ ح ٢١٢١ ..

(٧) أحكام الزحام في المناسك في الفقه الإسلامي/أحمد بن حسن بن عمر زبير ص ١٦٦.

قال النووي : " ينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث ،ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وسوء الظن واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق : (١)

قال الدكتور حسن أبوغدة : "ولا شك أن هذا يشمل جلوس بعض الحجاج في الطرقات، والشوارع، وممرات الناس، وتحت الجسور ونحوها، والإقامة والأكل فيها، أو افتراشها، أو النوم فيها". (٢)

ثالثاً: يترتب على ظاهرة الافتراش في الحج بعض المحظورات الشرعية منها

١- انكشاف عورات الرجال والنساء الذين يفترشون الشوارع، وظهورها أمام بعضهم، وأمام المارة من الناس، والتسبب في وقوع الجميع في معصية الله تعالى، ونزول سخطه وغضبه وعقابه.

٢- ومن المحظورات الشرعية أيضاً: ما يحدث من اختلاط للرجال والنساء، وتكشّف النساء وعوراتهن أمام الرجال، وأمام المارة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٣)

٣- ومن المحظورات الشرعية كذلك : وقوع المفترشين في الجدل والخصام فلا يجلس هذا المفترش أبداً في هدوء فهو دائم الخصام مع جيرانه ، دائم الخصام مع المشاة الذين يمشون ويريدون أن يتحركوا ، فهذا يتناول عليه ، وهو يرد عليه ، وهذا يشتم وهو يرد ، فهو في نزاع وخصام والله يقول الله-تعالى - ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ...﴾ (٤)، وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ: " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (٥)، فأين للمفترش طيب الكلام وهو في نزاع وشقاق وجدال دائم ؟ فهذه آثام ، وهذه منكرات وأخطاء متجمعة ، بعضها فوق بعض سببها : الافتراش في الحج ؛ فينبغي علينا أن ننتبه لهذا الأمر، وأن ننبه غيرنا من المسلمين بخطورة هذا الأمر وإثمه ، حتى نعود إلى شرع الله تبارك وتعالى.

المبحث الخامس: مسألة: عدم المبيت في منى لعدم وجود المكان:

من المعلوم أن مساحة منى تبلغ بحدودها الشرعية ٨.١٦ كم ٢ بما فيها السفوح الجبلية والمنطقة السهلية المنبسطة، وتقدر مساحة بطن الوادي في منى بحوالي ٤ كم ٢ وهي تكاد تكون نصف المساحة الإجمالية للحدود الشرعية لمشعر منى في حين أن بقية المساحة سفوح جبلية، وتستأثر الطرق والأرصفة بحوالي ٢٥٪ منها في حين تقدر المساحة التي تشغلها الدوائر الحكومية

(١) شرح النووي على مسلم ١٠٢/١٤ .

(٢) جاء هذا في تصريحات خاصة لمدير تحرير الملتقى الفقهي. انظر الموقع على شبكة الانترنت

<http://fiqh.islammesssage.com/NewsDetails.aspx?id=6902>

(٣) الآية (٥٩) من سورة الأحزاب.

(٤) الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٥) رواه مسلم رقم ٢٤٠٤، وأحمد في المسند رقم ٦٨٣٩ .

والخدمات بـ ١٥٪ منها. وبهذا يتضح أن المساحة المتبقية لنصب الخيام، وإيواء الحجاج في منى هي فقط ٢٠٥ كم تقريباً. (١)

وبعض الحجاج ربما لا يجد مكاناً يبيت فيه بمنى؛ بسبب تجاوز عدد الحجاج لطاقتها الاستيعابية، خاصة وأن هؤلاء الحجاج تجاوز عددهم اليوم المليونين، ويضاف لهم الأعداد الوفيرة من الأجهزة المختلفة؛ للمحافظة على الأمن والنظام وتأمين متطلبات الحجاج من الطعام والشراب وغيرها، بالإضافة إلى وجود القائمين على الخدمات والإرشاد، ووجود الإعلاميين والمراقبين والمرافقين، وقد يصل العدد إلى ثلاثة ملايين يجتمعون في هذه البقعة الصغيرة المحدودة، ومن ثم لا يجد بعض الحجاج وخاصة غير النظاميين مكاناً مهيناً لهم يبيتون فيه بمنى. فما حكم المبيت بمنى لعدم وجود المكان؟ (٢)

المبيت بمنى ليالي أيام التشريق ثلاث ليالٍ لغير المتعجل وليلتين للمتعجل واجب عند جماهير العلماء، ويجب على من تركه بغير عذر دم لتركه واجباً من واجبات الحج (٣)، وذهب الحنفية وهو قول عند الشافعية ورواية عند الحنابلة إلى أن المبيت بمنى ليالي أيام التشريق سنة وليس بواجب، ولا يجب على من تركه شيء (٤)، واستدل كلا الفريقين بدليل واحد كحديث ابن عمر في الصحيحين: «أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لِيَالِي مَنْى، مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ، فَأُذِنَ لَهُ». (٥)، فالموجبون للمبيت قالوا: لو كان المبيت سنة ما احتاج العباس رضي الله عنه للإذن، فالترخيص لأهل السقاية كالعباس رضي الله عنه دليل على أنه واجب في حق من ليست عنده هذه الرخصة، وقال الفريق الثاني: لو كان المبيت واجباً لما أذن النبي ﷺ للعباس أن يتركه، وفعل النبي ﷺ محمول على السنة توفيقاً بين الدليلين، وقول الجمهور أقرب، والله أعلم. فإن قلنا لهؤلاء الحجاج الذين لم يجدوا مكاناً مهيناً في منى إنه يجب عليكم المبيت بمنى على كل حال وإلا وجب عليكم دم، تكون النتيجة هي افتراض الطرقات والأرصعة التي لا تصلح مكاناً للمبيت.

(١) انظر: بحث منى المشعر والشعيرة، د/ عبد الوهاب أبو سليمان، د/ معراج نواب، وهو منشور في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد (٤٩) ص ٢٠.

(٢) مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد بن هائل المدحجي، انظر الموقع على شبكة الإنترنت <http://fiqh.islammesssage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

(٣) مواهب الجليل ١٨٧/٤، التاج والإكليل ١٨٨/٤، المجموع ٢٥٩/٩، المغني المحتاج ٢٩٣/٢، الإنصاف ٤/٤٤.

(٤) فتح القدير ٥١٣/٢، المجموع ٢٥٧/٩-٢٥٩، المغني ٣٢٥/٥.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب الحج، باب سقاية الحاج (٥٨٩/٢)، رقم (١٥٥٣)، ومسلم، في كتاب الحج، باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق والترخيص في تركه لأهل السقاية (٩٥٣/٢)، رقم (٣٤٦).

وبناءً على ما سبق فإن المبيت بمنى لا يلزم من لم يجد مكاناً مهيناً يبيت فيه بمنى ؛ لأن الواجبات تسقط بالعجز ، قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦) ، وعليه فإنه يبيت حيث يشاء . (١)

سئل الشيخ ابن باز رحمه الله : إذا لم يجد الحاج مكانا يبيت فيه بمنى فماذا يفعل ؟ وهل إذا بات خارج منى عليه شيء ؟

فأجاب قائلا : إذا اجتهد الحاج في التماس مكان في منى ليبيت ليالي منى فلم يجد شيئاً فلا حرج عليه أن ينزل في خارجها لقول الله -تعالى- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٢) ، ولا فدية عليه من جهة ترك المنزل لعدم قدرته عليه . (٣)

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية : " من لم يجد مكانا في منى وهو حاج ، ونزل أيام منى خارج منى لكنه يبيت في الليل في منى ، ثم يخرج إلى منزله بعد طلوع الفجر فلا شيء عليه ، ولو بات في منزله فلا حرج إذا لم يتيسر له النزول في منى " (٤) .

وجاء في البيان الختامي للدورة الثالثة والثلاثين لندوة الحج الكبرى المنعقدة في مكة المكرمة أيام ٣-٥ من شهر ذي الحجة ١٤٢٩ هـ ، الموافق أيام ١-٣ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٨ م : " ترى الندوة أنه إذا ضاقت منى عن استيعاب الحجاج بسبب كثرة عددهم أو الزحام الشديد فيها أو لم يجدوا مكاناً يصلح للنزول فيها غير الطرقات أو الأرصفة أو المرافق فإنه يسقط عنهم وجوب المبيت بمنى ولهم أن ينزلوا حيث يتيسر لهم " .

لكن من العلماء من رأى أنه يلزم المبيت في أقرب مكان من منى : كالشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن جبرين رحمهما الله ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله ، وبنوا قولهم على القياس على من لم يجد مكاناً في المسجد في صلاة الجمعة إذ يلزمه أن يصلي خارج المسجد قريباً بحيث تتصل الصفوف ، فهكذا إذا امتلأت منى يسكنون بأقرب ما يمكنهم ، وبالتالي يتحقق مقصود الشارع من اجتماع الناس في مكان واحد . (٥)

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : وإذا لم يجد مكانا في منى ، فإنه يجب أن ينزل عند منتهى آخر خيمة ، وليس له أن يذهب إلى مكة المكرمة أيضا.. بل نقول إنك إذا لم تستطع أن تكون في منى ، فانظر آخر خيمة من خيام الحجاج ، وكن إلى جنبهم لأن الواجب أن يكون الناس بعضهم مع

(١) مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد بن هائل المدحجي ، انظر الموقع على شبكة الإنترنت

<http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

(٢) من الآية (١٦) من سورة التغابن ١٦ .

(٣) مجموع فتاواه كتاب الحج ٢٠٩/٢ .

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية ٢٦٨/١١ .

(٥) مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد بن هائل المدحجي ، انظر الموقع على شبكة الإنترنت

<http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

بعض ، كما نقول أيضاً إذا امتلأ المسجد بالناس فإنهم يصفون بعضهم إلى بعض . والله أعلم
(١)

والحقيقة أن كلا القولين له وجهته وقوته ، لكن الذي يظهر رجحانه أن من لم يجد مكاناً بمنى فإنه يبيت حيث شاء ، أما ما استدل به الذين أوجبوا أن يكون المبيت بجانب خيام منى ملاصقاً لها فيمكن أن يجاب عنه بما يلي : أما القياس على وجوب اتصال الصفوف في الصلاة فهو قياس مع الفارق من جهة أن اتصال الصفوف في الصلاة هو لتحقيق مصلحة الاقتداء ومتابعة الإمام ، وليس هناك اقتداء في المبيت بمنى ، وأما المعنى الذي ذكره من اجتماع الناس في مكان واحد فهو معنى يفيد الاستحباب ولا شك ؛ لأنه يحقق مقصداً من مقاصد الشارع ، ولكنه ليس كافياً في إثبات الوجوب بدون دليل خاص ، خاصة وأن الاجتماع قد حصل بمنى في منى وهم كثر ، والله أعلم .
لكن قد يقال بأنه ينبغي أن تكون الفتوى العامة على وجوب المبيت في أقرب مكان من منى من باب سياسة الناس على الخير ، فإنه لو قيل بأنه يبيت حيث شاء لوجد من يحرص على ألا يجد مكاناً بمنى أو على الأقل يتساهل في التأكد من عدم إمكان المبيت في منى ، لتحصل له الرفاهية بالانتقال إلى فنادق مكة مثلاً ، فيفوته بذلك خير كثير ، في حين أنه لو علم أنه إن لم يجد مكاناً في منى لزمه أن يكون قريباً منها لحرص على أن يكون في منى لتوفر الخدمات التي قد يحتاجها فيها .

ومن جهة أخرى قد يقال أيضاً أنه لا ينبغي التشديد في هذا الأمر خاصة مع وجود قول قوي بعدم وجوب المبيت بمنى من حيث الأصل .

لكن مما لا شك فيه أنه يستحب لمن لم يجد مكاناً بمنى أن يكون حريصاً على أن يكون أقرب ما يمكن منها ؛ إذ إن من أسباب قبول الدعاء وتنزل رحمة الله سبحانه وتعالى أن يجتمع الناس في مكان واحد مظهرين الفقر والفاقة والذل لله سبحانه وتعالى رافعين أكفهم بالدعاء ، فقد يكون من الحرمان أن يبيت الحجاج بعيداً عن التعرض لرحمة الله سبحانه وتعالى في تلك المواقف العظام ، كما إن من مقاصد الحج العظيمة أن يجتمع الحجاج في مكان واحد؛ يتعلم جاهلهم من عالمهم، ويواسي غنيهم فقيرهم، ويساعد قويهم ضعيفهم وهذا لا يحصل حينما يكون الإنسان بعيداً .
وإن من أعظم مقاصد الحج أيضاً تساوي الناس وإظهار الذل والفاقة ، ولا شك أن من قرب من منى سيكون أقرب إلى الذل والعبودية واستشعار الحج ممن يكون بعيداً في مكان مهياً لا يقرب من الحجاج، ولا يشعر بهم، ولا ينتفعون منه، ولا ينتفع منهم.

(١) فتاوى الحج والعمرة والزيارة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع محمد عبد العزيز المسند ص ١٠٣ ،
١٠٥ ط دار الوطن .

وأيضاً فمن أعظم المقاصد في الحج للأقوياء وللأغنياء والمتعلمين أن يحسوا في هذا الموقف العظيم بالقرب من إخوانهم الفقراء والضعفاء والمعوزين والجهلاء، وأن ينفعوا إخوانهم ويعلموهم ويرشدوهم ، وهذا كله يؤدي أنه ينبغي لمن لم يجد مكاناً في منى أن يكون قريباً منها ، والله أعلم. فالعلماء والحمد لله رب العالمين إنما أفتوا بذلك لما رأوا من الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله فهذا الذي يدعى أن مكانه بعيد في منى ، أو أنه ، ليس له مكان في منى ، فنقول له : العلماء أفتوا بجواز أن تجلس في العريضة ، أو في مزدلفة ، مادام أن خيام الحجاج متصلة بذلك المكان. (١)

فالحمد لله الذي جعل ديننا يسراً و سماحة، ولم يجعله حرجاً وكلفة إلا أن نأخذ باليسر الذي بينه لنا علماؤنا جزاهم الله خير الجزاء ومشقة ، فما علينا إن أردنا الأجر والقرب من الله حتى نُؤدي طاعة الله في خشوع وفي سكينه وفي طمأنينة .

المبحث السادس: مكافحة ظاهرة الافتراش في الحج :

١- تفعيل دور وواجبات الأمن الجنائي، إذ إن من مهامه الأساسية تسيير دوريات تحرراً لضبط النشالين وتكوين فرق ميدانية معينة بإزالة المباسط التجارية التي تعيق سير الحجاج وكذلك منع الافتراش.

٢- تجهيز طرق المشاة وخاصة الرئيسية منها وذلك بإزالة كافة المعوقات وإقامة مناطق مراقبة عليها لمتابعة سير المشاة وكثافتهم وأماكن توجههم وتحديد الأماكن التي يتوقع فيها كثافة تتجاوز سعة الشوارع.

٣- التنسيق بين الأجهزة الأمنية مع وزارة الحج لفتح مخارج الطوارئ عند ازدياد كثافة الحجاج في الشوارع.

٤- قيام قوة تنظيم المشاة بمنع الافتراش بمساندة من المسؤولين في الإمارة والأمانة للمدينة داخلها وخارجها وشوارعها.

٥- نشر فرق ميدانية لإزالة المباسط العشوائية والباعة المتجولين من المتخلفين والتنسيق مع أمانة مكة المكرمة لتحديد أماكن بيع المواد الغذائية في أماكن بعيدة عن حركة الحجاج لتقليل الحشود والتجمعات (٢)

٦- من حق السلطات السعودية المختصة، اتخاذ الإجراءات الشرعية الرادعة، لكل من يخالف التعاليم الشرعية، والتوجيهات الإسلامية السابقة، ويفترش الطرقات والشوارع ونحوها، ويعيق حركة المرور، ويعرض الآخرين للأخطار والأضرار والكوارث والأمراض. (١)

(١) مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد بن هائل المدحجي ، انظر الموقع على شبكة الإنترنت <http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

(٢) افتراش الحجاج: مشكلة ومقترحات للمواجهة !!د. زيد بن محمد الرماني ، انظر الموقع على شبكة الإنترنت : <http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=1509>

الخاتمة

أولاً: النتائج

- ١- الافتراض هو: افتراض الطرق التي تسير فيها السيارات، أو يسير فيها المشاة، فتضييق عليهم الطريق أو تغلقه، مما يتسبب في إيذاء الآخرين.
- ٢- هذه ظاهرة سيئة لا تليق بالإسلام ولا بالمسلمين، ولا تليق بالحج ولا بالحجاج، ولا تليق بهذا المكان الطاهر، ولا بهذه الفريضة العظيمة المباركة.
- ٣- الافتراض منافٍ تماماً لشرط الاستطاعة الذي حدده الله - تبارك وتعالى -، مع فرض الحج.
- ٤- تؤدي ظاهرة الافتراض إلى بعض الآثار الضارة كانتشار التسول، وانتشار البيع في كل مكان، وانتشار النشل والسرقات والاختلاس بين الحجاج نتيجة الازدحام .
- ٥- ظاهرة الافتراض يترتب عليها مخالفات شرعية عديدة منها:
أ- تضييق الطريق الذي يسبب الأذى للمسلمين.
ب- عدم التزام بعض مؤسسات حجاج الداخل ساهم في زيادة هذه الظاهرة حيث إنها لم تهيء مساكن مناسبة للمتعاقدین معها للحج .

ثانياً: التوصيات :

- ١- إن التنظيمات الإدارية وخاصة حملات الحج في حاجة ماسة إلى فعالية وكفاءة وسيطرة فائقة لتكون أكثر اتقاناً ومرونة.
- ٢- تكثيف تواجد الدعاة وطرق توعية المفترشين وأساليب توجيههم ووسائل التحذير من خطر وضرر هذه الظاهرة على الجميع.
- ٣- تفعيل دور وواجبات الأمن الجنائي.
- ٤- تجهيز طرق للمشاة وخاصة الرئيسية منها ، وذلك للحد من ظاهرة الافتراض.
- ٥- قيام قوة تنظيم المشاة بمنع الافتراض بمساعدة من المسؤولين في الإمارة والأمانة للمدينة داخلها وخارجها وشوارعها.
- ٦- نشر فرق ميدانية لإزالة المباشطة العشوائية والباعة المتجولين من المتخلفين، والتنسيق مع أمانة مكة المكرمة لتحديد أماكن بيع المواد الغذائية في أماكن بعيدة عن حركة الحجاج لتقليل الحشود والتجمعات.
- ٧- العمل على تهيئة جبال منى وبناء منى للقضاء على هذه الظاهرة .

(١)خطورة الافتراض على سلامة الحجاج / الأستاذ الدكتور حسن أبوعدة ،انظر الموقع على شبكة الانترنت

<http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=6902>

٨- يتوجب على الجهات الدينية والإعلامية والاجتماعية، في عموم الأقطار الإسلامية، القيام بحملات دعوية إرشادية مكثفة، للعمل على تعديل عادات وسلوكيات بعض الحجاج، وإرشادهم وتوعيتهم وتبصيرهم، وتحذيرهم من مخاطر وأضرار افتراش الطرقات والشوارع، وآثاره السيئة على كافة الأصعدة الصحية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية، فضلاً عما في ذلك من مخالفات شرعية، وتعرض للإصابات، أو السرقات، أو إثارة للنزاعات مع الآخرين. (١)

٩- وهنا نقدم بعض الحلول الهندسية لذلك:

أ- تصميم خيام متعددة الأدوار- ثلاثة أدوار على الأكثر- متدرجة الفراغات ذات حجم كبير وصغير كما في الشكل الموضح أسفل.

ب - إنشاء المباني ذات الارتفاعات الرأسية - عشرة أدوار على الأكثر - على سفوح جبال منى وذلك لاستغلالها، مع وضع التصورات المناسبة من حيث الخدمات والمرافق والطرق مع ربطها بجسر الجمرات الجديد وخدمتها بالقطار كما في الشكل الموضح أسفل.

ج - إنشاء منشآت خشبية متعددة الطوابق للخدمات المدنية والإدارية مع إمكانية بحث نقلها خارج حدود مشعر منى كما في الشكل الموضح أسفل..

د - إعادة تخطيط الطرق ومداخل ومخارج مشعر منى بما يحقق استغلال المساحات المستغلة في الطرق في إنشاء الخيام متعددة الطوابق كما في الشكل الموضح أسفل..

هـ- استغلال الهضاب الصناعية في مشعر منى وذلك لإنشاء خيام متعددة الطوابق كما في الشكل الموضح أسفل..



(١) خطورة الافتراش على سلامة الحجاج / الأستاذ الدكتور حسن أبوغدة ، انظر الموقع على شبكة الانترنت

<http://fiqh.islammassage.com/NewsDetails.asp?id=6902>



المراجع والمصادر

- أحكام الزحام في المناسك في الفقه الإسلامي / أحمد ابن حسن بن عمر زبير ، رسالة ماجستير - كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٤ م .
- افتراش الحجاج: مشكلة ومقترحات للمواجهة !!د. زيد بن محمد الرماني .
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي طبعة: طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت
- التاج والإكليل للمواق ، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت
- الترغيب والترهيب للمنذري، طبعة دار الحديث.
- التعريفات للجرجاني ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ
- خطورة الافتراش على سلامة الحجاج د/حسن أبوغدة.
- سنن ابن ماجة، الناشر: دار الفكر، بيروت.
- شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- صحيح البخاري: الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ هـ
- صحيح مسلم: طبعة: دار الحديث ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ
- فتاوى الحج والعمرة والزيارة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع محمد عبد العزيز المسند ، ط دار الوطن .
- فتح القدير لابن الهمام الحنفي، طبعة: دار الفكر، بيروت.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبو جيب.
- لسان العرب ، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان.
- مجموع فتاوى ابن باز، كتاب الحج .

مجموع فتاوى ابن تيمية: طبعة: مؤسسة قرطبة، الفاروق الحديثة.
مستجدات الحج الفقهية (النوازل في الحج) د. محمد ابن هائل المدحجي ،
المجموع شرح المذهب: للنووي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت.
مغني المحتاج إلى معرفة أَلْفَاظِ الْمَنَاجِحِ: للخطيب الشربيني، طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة .
المغني: لابن قدامة، طبعة: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
مناسك الحج والعمرة فـي الإسلام في ضوء الكتاب والسنة د. سعيد بن علي بن وهف
القحطاني، الناشر/ مركز الدعوة والإرشاد بالقصب ١٤٣١ هـ.
منى المشعر والشعيرة، د/ عبد الوهاب أبو سليمان، د/ معراج نواب، بحث منشور في مجلة البحوث
الفقهية المعاصرة العدد (٤٩)
مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: لابن الخطاب ، طبعة: دار الفكر، الطبعة الثانية .
النهاية لابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م
وقفات حول موسم الحج د عبد الله بن علي بصفر ،الناشر / دار نور المكتبات .
مواقع الانترنت :

<http://fiqh.islammesage.com/NewsDetails.aspx?id=1509>

<http://fiqh.islammesage.com/NewsDetails.aspx?id=3719>

<http://fiqh.islammesage.com/NewsDetails.aspx?id=6902>

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.